مظاهر الأزمة المصطلحية في النَّقد العربي المعاصر بين التّعريب وراهن الاستلاب الثَّقافي.

The term's crisis form in modern Arabic critic between the arabization and current cultural alienation

Les dimensions de la crise terminologique dans la critique littéraire arabe moderne entre l'arabisation et l'aliénation culturelle

ط.د. حمـزة أوعيل
قسم علوم اللسان، جامعة الجزائر 2

د. مليكة بلقاسمي
قسم علوم اللسان، جامعة الجزائر 2

تاريخ الإرسال: 2019-01-20 – **تاريخ القبول:** 2019-10-02 - **تاريخ النشر:**....-11-2021

ملخص

لا يمكن أن ننكر دور البحث اللّساني الغربي في صناعة المصطلح النّقدي العربي المعاصر، كما أنّنا لا يمكن أن نتغاضى عن فوضى نقل المصطلح إلى العربية لغياب جهاز مصطلحي، وعدم وجود رؤية موحدة في عملية النّقل والترجمة. فبعض النّقاد استباح حرمة الأنا وانغمس في النّقد الغربي ينهل من مصطلحاته حتى الثّمالة، فأصبح المصطلح الواحد في الدرس النّقدي العربي متعدد الوجوه باختلاف اللّغات التي انحدر منها، والتّلاقح الثّقافي لا يُفضي أبدًا إلى انصهار الثّقافات وذوبان الأنا في محلول الآخر.

الكلمات الدالة : المصطلح؛ الهوية؛ المثاقفة؛ التعريب؛ الاستلاب.

Abstract

The role of the western linguistic research cannot be denied in building the modern Arabic term; neither we turn ablind eye ouer the chaos of bringing up the term into Arabic due to the absence of a system term and for a non existing global vision through translation as well. Therefore, some critics have gone So far and went deep down in western Arabic critic look like a multi form, because of the difference of the source language. The cross culturality leads neither to the cultural melting pot, nor to losing. Identity to adopted for reignterminology

Keywords: term; identity; interculturality; arabization; alienation.

Résumé

Nous nous ne pouvons pas nier le rôle de la recherche linguistique occidentale dans l'élaboration de la terminologie critique arabe moderne. De même nous ne pouvons pas aussi ignorer le désordre et l'instabilité qui caractérisent le fait d'emprunter des concepts à cause de l'absence d'un cadre conceptuel et d'une vision unie de cette opération du transfert et de traduction. Certains critiques arabes se plongent dans la critique occidentale. Ils se reservent de ses concepts abusivement et sans limites. Néanmoins, la transculturalité ne signifie jamais se fondre dans l'autre.

Mots-clés: le terme; l'identité; cultural exchange; arabisation; aliénations.

مقدمة

إنْ لم يكن من قبيل تحصيل حاصل أن نقرَّ بأنّ اللّغة العربية هي الهويّة لجميع العرب والمسلمين، نستخدمها عند التّعبير عن أفكارنا وما تجيش به نفوسنا، لذا لابدَّ من العمل على تطويرها في جميع المجالات الفكرية، وتحديثها لتواكب ناموس التّطور الذي يحكم الحياة بمَن فيها وما عليها. «إنَّ إشكالية التّحديث والتّجديد أرّقتنا وستبقى تؤرّقنا مادامت اللّغة هي أهمّ مكونات الحقيقة، وهي في عصرنا الرّاهن، لا تعتبر اللّغة مجرّد الممثلة للحقائق، بل هي الحقيقة مكنونة في أحشاء الخطاب بأوسع معناه» (عطية، 1997، ص109).

فاللغة على حد تعبير مارتن هايدجر: «هي بيت الوجود الذي يسكنه الإنسان» (هيدجر، 2012، ص313)، وعلى هذا فإنَّ الاهتمام بتقديم هذه الإشكالية أصبح أكثر ضرورة، خاصّة فيما يتعلّق بالرّاهن الذي أصبح فيه مصطلح العولمة مصطلحا أكثر انتشارا، وأصبحت الشّرائح الاجتماعية تردّده حتى ولو لم يكن محببا إلى النفوس، حين ارتبط بمصطلح (داء الحضارة)، وما أفرزته من تعقيدات ومشاكل على أكثر من صعيد، حيث انتقل أثرها من الوسط الاقتصادي ثم الوسط السّياسي وأخيرا تسلّل إلى الميدان الفكري والثّقافة الأدبية والنّقدية على الخصوص.

وانطلاقا من التّصور العام للعولمة على أنّها انفتاح على الغرب فهي «تتعلّق بنظرية تقول بأننا الآن نحيا في عالّم واحد» (حدنجر، ص26)، بهذا تكون لنا ثقافة عالمية واحدة وموحدة تحقّق التّواصل الفكري والحضاري بين المجتمعات والشّعوب، ممّا فتح الباب على سيل عرم من المصطلحات الغربية التي اقتحمت عالَم الفكر النّقدي العربي بكل

مكوناته، انفتاح ظاهره فيه الرّحمة وباطنه من قِبله العذاب، انفتاح اصطبغ بصبغة السّيطرة والاستلاب الثّقافي أحادي التّوجه المُوقِع في دائرة الاستهلاك والتبعية، وما زاد المشكلة تعقيدا هو غياب جهاز مصطلحي كفيل بمواكبة الحركة النقدية العالمية المتسارعة، مما جعل الهويّة العربية في غير منعة من تيّار التّغريب، وسياسة طمس معالم الفكر العربي، إن لم نقل طمس للهوية اللّغوية العربية. وقبل الخوض في مضمار هذه القضيّة، فإنّ المنهج العلمي يحتّم علينا ابتداءً ضبطَ مفهوم بعض المصطلحات التي تشكّل قطب الرّحى في هذه الدّراسة، حتى لا يكون حديثنا من قبيل الحديث عن مجهول.

1. حول المصطلح (le terme)

عرّفه الجرجاني «عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشّيء باسم ما، ينقل عن موضوعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل الاصطلاح لفظ معيّن بين قوم معينين» (الجرجاني، 1995،ص28). ويُعرّفه عبد السّلام المسدي كالآتي: «المصطلحات هي مجموعة الألفاظ التي يُصطلح بها أهل عِلم من العُلوم على متصوراتهم الذّهنية، الخاصّة بالحقل المعرفي الذي يشتغلون فيه، وينهضون بأعبائه، ويأتمنهم النّاس عليه، ولا يحقُّ لأحد أن يتداولها بمجرد إضمار النيّة بأنّها مصطلحات في ذلك الفن إلاَّ إذا طابق بين ما يشدّه من دلالة لها، وما حدّده أهل ذلك الاختصاص لها من مقاصد تطابقًا تامًا» (المسدي، 2004، ص 146).

أمَّا المصطلح النّـقدي: فيشكّل العمود الذي يقوم عليه الخطاب النّقدي، وهو رمز لغوي (مفرد أو مركّب) أحادي الدّلالة، منزاح نسبيًا عن دلالته المعجمية الأولى للتّعبير عن مفهوم نقدي محدَّد وواضح، مُتّفَق عليه بين أهل الحقل المعرفي، أو يُرجى منه ذلك (وغليسي، 2008)، فهو «النّسق الفكري المترابط، الذي تَحدُث من خلاله عمليّة الإبداع الفنّي، وتُختبر على ضوئه طبيعة الأعمال الفنيّة وسيكولوجية مبدعها والعناصر التي شكلّت ذوقه»(مطلوب، 2002، ص235). فلو تأملنا هذا التّعريف لأدركنا بأنّ المصطلح النّقدي هو الذي يؤطّر التّصورات الفكرية التي ينتجها فعل ممارسة العملية النّقدية، وفق ضوابط منهجية من شأنها توضيح دلالته.

1.1 مفهوم الاستلاب

من المفاهيم الأكثر استعمالا وتداولا في خطابنا العربي المعاصر لتوصيف علاقة المثاقفة الواصلة بيننا وبين الغرب، ولفظ الاستلاب دالٌ مفهوميٌ يُستعمل خاصّة في سياق نقد التّبعية الثّقافية للغرب ونقدها، وهو من حيث الأصل مقابل ترجمي للّفظ الأجنبي(Alienation) الذي يرجع إلى اللّفظ اللّاتيني (Alienatio) (بوعزة، 2014).

«كما أُستعمل للدّلالة على علاقة أعمّ، هي علاقة المثاقفة بين مجتمعين أو ثقافتين أو حضارتين، إنّه دلالة على انسلاخ من الذّاتية الثقافية، وخضوع إلى التّبعية للآخر كحضارة أو ثقافة»(بوعزة، 2014، ص5). وعند هذا الحدِّ يمكن الوقوف جذور بعض المصطلحات النقدية المعاصرة في بيئتها الغربية أولا بعّدها الجهة المنتجة لها، وبالأحرى هي منطلق هجرة المصطلح نحو البلاد العربية، مع رصد ما أمكن من الّتغيرات و التّقلبات التي ألمّت به في هذه الرحلة.

2.1 مصطلح الخطاب

إنَّ المتأمل لمصطلح الخطاب وتحليل الخطاب، يجده مثل معظم المصطلحات الحديثة عابرًا للّغات والثّقافات، فالمشتغل بهذا المصطلح (الخطاب) يقع في سياق ظاهرة الاستهلاك التي تمارسها الثّقافات المستقبِلة التي تقع تحت تأثير الآخر المتفوّق، وتلجأ في الوقت نفسه إلى العودة إلى البحث في تراثها أو مخزونها الثّقافي لإيجاد مقابل أو موازٍ لما وفد عليها، وهو ما نجده في الدّراسات التي تُعنى بالخطاب، فهي من جانب تحتفي بالمصطلح الوافد وتعمد في الوقت نفسه إلى معاينة ما يشبهه أو يقابله لديها لتصل إلى شكل من أشكال التوازن الذي يرمي إلى ترك انطباع بعدم الاستلاب للغرب(الزعبي، 2013).

والخطاب في الدّراسات العربية بمفاهيمه الحديثة مصطلح وافد من الثّقافة الغربية، ويحمل فيها دلالات متعددة بتعدّد الحقول التي يدخل فيها، وهو يتداول بوصفه مقابلا عربيًا للمصطلح الغربي (Discourse) الذي تشكّل في سياقات ثقافية متباينة لتلك السّائدة في الثّقافة والمجتمع العربي (الزعبي، 2013).

أمَّا الأصل اللّغوي للخطاب (Discourse) في اللّغات الأوروبية فيُعاد إلى الأصل اللّاتيني (Discursus)، الذي يحمل دلالة التّحرك ذهابًا وإيابًا، وهو المعنى الذي يستعمله

الفلاسفة للتّعبير عن تبادل الأفكار، كما أنّ كلمة الخطاب تعبّر عن الجدل والعقل أو النّظام. وقد ورد عند (هابرماس) للدّلالة على التّواصل اللّغوي المبني على الحجج أو التّعليل (الزعبي، 2013).

حيث نجد أن غريماس (Griemas T.) جعله مرادفًا للنّص، ويشير إلى أنّ الخطاب والنّص يُستعملان للدّلالة على ممارسات خطابية غير لغويّة كالأفلام والطّقوس والقصص والرّسوم. أمَّا هاريس(Haris) فجعله مجموعة من الجمل لها معنى (الابراهيمي،2000)

أمّا ميشال فوكو(Michel Foucoult) فكان تعريفه للخطاب من منطلق فلسفته اللّغوية، حيث يقول: «... هو أحيانا يعني الميدان العام لمجموع المنطوقات (Enoncés)، وأحيانًا أخرى مجموعة مميزة من المنطوقات، وأحيانًا ثالثة ممارسة لها قواعدها تدلّ على وصف عدد معيّن من المنطوقات وتشير لها» (بعورة، 2000،ص95-96)، وكأنَّ المنطوق وإن قَلَّ هو أساس الخطاب.

بهذا قدّم (فوكو) تعريفًا جديدا للخطاب لا يستند إلى أسس ألسنية أو منطقية، بل يتشكّل من مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتمي إلى ذات التّشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صوريةن بل عبارة عن عدد محصور من المنطوقات التي نستطيع تحديد شروط وجوده (الزعبي، 2013). فمصطلح الخطاب عند الغرب نشأ في مجالي اللّغويات والسيموطيقيا، إلا أنّه قفز للعديد من فروع ومجالات العلوم الإنسانية، إذ يُستخدم تحليل الخطاب في الانثروبولوجيا والتّاريخ وعلم الاجتماع والتحليل النفسي(الزعبي، 2013).

في حين نجد الخطاب في الدّراسات العربية بمفاهيمه الحديثة يحمل دلالات متعددة بتعدد الحقول التي يدخل فيها، وهو يتداول بوصفه مقابلا عربيا للمصطلح الغربي(Discours)، ولعلّ هذا ما يجعل المرء يتساءل عن إمكانية تحميل هذا المصطلح مفاهيم غربية مع أنَّه موجود في التّراث اللّغوي عند العرب وحتى في الاستعمال« وترتبط دلالاته الأولى بالمحادثة أو بالحديث الحواري، ولعلَّ استحضار الآية القرآنية الكريمة: (وَإِذَا خَاطَبَهُم الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) الفرقان (63)، تُبين في بنيتها اللّغوية عن حديث حواري مكوّن من (خطاب) وردٌّ عليه، وفي مقابل هذا نجد مثلا كتاب محمد عزام (تحليل

الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية)، ويُراد به النّص، بذلك فهي تحيد كثيرا عن مفهوم الخطاب الوافد من الفكر الغربي.

3.1 استعمال مصطلح (السّيمياء)

كما نجد هذه الظاهرة أيضًا في استعمال مصطلح (السّيمياء) وما دار في فلكه، فقد تغنّى الكثير من النّقاد بمصطلح السّيميائية وانتشر في كتب النّقد بمسميات مختلفة منها: والسيميولوجيا، والسيميوتيكا والساميولوجيا والساميوتيك والسيميوطيقا والسّيميوتيقا. (مولاي، 2000).

حيث تعود جذور الاختلاف ابتداء من الغربيين عند ترجمة المصطلح في حد ذاته، فكلمة (Sémio) تنحدر من أصول إغريقية-يونانية (Sémion)، التي تعني العلامة (Signe)، وكنه الاختلاف يتبدّى لنا في الشّق الثاني من الكلمة (logie) التي تعني الخطاب le (décours). أمّا (tique) (تعني العِلم (عبد الله ثاني، 2010). أمّا (بورس) فقد وضع لفظة (سيميوطيقا) للدّلالة على العِلم نفسه، وأصل هذه اللّفظة (Sémiotiké) اليوناني الأصل، وقد تمّ وضعه من قبل (جالينوس) ليعني بها عِلم الأعراض في الطّب (سلمان، 2014).

وفيما يُروى عن العَالِم اللّغوي الفَرنسي (غريماس) أنّه دخل في مناقشة سيميائية مع جريدة العالم (le monde) الفَرنسية سنة 1986م، وكان موضوعها: (إشكالية تعدد المصطلح في السيمياء)، أين أشار (غريماس) إلى البُعد التّاريخي للمصطلح كونه أساس الاختلاف، بالإضافة إلى أنّه حدّد الفرق بين السّيميوطيقا والسّيميولوجيا وقال: إن السّيميوطيقا تدرس أنظمة العلامات المختلفة كالصورة والألوان وغيرهما، في حين أنّ السيميولوجيا هي الهيكل النّظري لعِلم العلامات بصفة عامّة (عبد الله ثاني، 2010). فمصطلح سيميولوجيا (Sémiologie) يرجع أصله إلى العالم السّويسري (دي سوسير) حين بشّر بميلاد علم جديد يدرس حياة العلامات في كنف الحياة الاجتماعية سماه سيميولوجيا (la sémiologie) (وغليسي، 2008).

وحين وصل هذا المصطلح إلى البيئة العربية شهد من جديد اضطرابا واختلافا، وحلّ على الفكر العربي القائم على الثقافة الإسلامية قلقا في إطلاقه (النملة، 2010)، فقضية تسمية هذا المفهوم مطروحة بحدّة، ذلك أنّ القارئ يواجه تعددا وتباينا مصطلحيا يضعه في الحيرة والإرباك، فإذا كان بعض الدّارسين لجئوا إلى استخدام لفظة (Sémiologie

la) من اللغة الفرنسية وتعريبها عن طريق إضافة مقطع آخر للكلمة مكوّن من (ياء) مزيدة بعد (الجيم) المكسورة ثم إشباعها بمد مفتوح لتجانس الصّيغة المألوفة في تعريب أسماء العلوم، شأن البيولوجيا والسوسيولوجيا، ومال فريق إلى البحث عن كلمة عربية أصيلة تفي بالغرض، وتؤدي المعنى المراد بالمصطلح أحسن أداء، فوجد مادة لغوية عربية تتضمّن معنى الإشارة أو العلامة للمصطلحين الفرنسي والانجليزي، ولاسيما أن الصيغة الصّرفية ليست غريبة عن صيغة أسامي العلوم في العربية كلفظة (الكيمياء) للدّلالة على المادة و(الفيزياء) للدّلالة على علم الطّبيعة...لكن الخوف من اللّبس دفع بعض الدّارسين إلى استعمال اللّفظة في صيغة الجمع (السيميائيات) وذلك لتنصرف دلالتها إلى العِلم، كما هو الشّأن مع (الرّياضيات) (النملة، 2010).

أمَّا على مستوى الخطاب النقدي الجزائري ألفينا (عبد الملك مرتاض) طرح مصطلح (السّيميوتيكا) مرادفا (للسّيمياء) في كتابه (النّص الأدبي من أين وإلى أين؟) : «لقد نعلم أن السّيميوتيكية (la Sémiotique) أو العلامية كما يطلق عليها (عبد السّلام المسدي) هي علم نظم الإشارات، ونحن نفضل الإشارية على العلامية، لأنّ بعض العرب كان اصطنع هذا المفهوم الألسني لهذا المعنى أو لمعنى قريب منه» (مرتاض،1983م،ص21)، كما استحسن مصطلح السيميائية لأنّه حسبه آت من المادة (س، و، م) التي تعني فيما تعني العلامة، وقد كتب: (دراسة سيميائية تفكيكية) لنص: أين ليلاي ؟.

في حين نجد (عبد القادر فيدوح) قد زاوج بين مصطلح (الدّلائلية والسّيميائية) وجعلهما وجهين لحقيقة واحدة، ففي كتابه : (دلائلية النّص الأدبي) استعمل عدّة مصطلحات للدلالة على مفهوم واحد كالسيميولوجيا والسيميوطيقا والتأويلية، فيغدو المجموع خمس مصطلحات كمرادف لمصطلح السيمياء (الأحمر، 2010، ص21).

هذا ويترجم (الطيب بكوش) المصطلح إلى (الدلائلية)، وهو ما يفعله (المنصف عاشور) أيضا، لكنّنا نلاحظ أنّ مصطلح (الدّلائلية) لا يؤدي المعنى الكامل لمفهوم المصطلح،لأنه يقترب أكثر من علم الدّلالة، وبالتّالي قد يحدث خلط بين العلمين أيضًا (وغليسي، 2010). واللّافت للانتباه بعد هذا السّجال حول ضبط مصطلح السيمياء أن كثير من الدارسين انشغل بترويض المصطلح الغربي وتغافل عن لفظ السيمياء الذي هو عربي، وأن دلالته لا تخرج عمّا حوته اللّغة العربية، فقد ورد في لسان العرب (السّيمة

والسّيماء السّيمياء) وهي العلامة (ابن منظور، ص 245)، وفي القرآن الكريم ورد لفظ (سيماهم)، قال الله تعالى :(محمّد رسولُ اللهِ والذين مَعَهُ أَشِدّاء عَلى الكُفّارِ رُحَمَاءُ بَينهم تَراهم رُكَّعًا سُجَّدًا يَبتغُون فضلاً مِنَ اللهِ ورِضوَانًا سِيمَاهُم فِي وُجُوههم مِن أثَرِ السُّجُودِ) (الفتح 29).

2. ظاهرة التّعدد المصطلحي

بهذا نشهد اضطرابا وتشرذمًا في التعاطي مع المصطلحات، والواقع أنّ كل طرف يلتزم باستخدام المصطلح المتفق مع أيديولوجيته وتعصبه فالقضية أيديولوجية بحتة حسب فيصل الأحمر(الأحمر،2010)، فكلّما كان التّباين في الأفكار والمعتقدات بين الثقافتين وبالأحرى بين مصطلحين أكثر كان التّعامل مع هذا النتاج أعوص وأصعب والعكس بالعكس، فمنذ أن وفدت المناهج النّقدية الأدبية الغربية على العرب وما حملته من زخم مصطلحي، انقسم النقاد إلى ثلاثة صنوف: صنف رفض هذه المناهج جملة وتفصيلا وذهب ينقّب عن سلبياتها ويطعن فيها، وهم أصحاب النقد المأثور حسب عبد السّلام المسدي، وهناك من تبنّى هذه المناهج بحذافيرها دون تنقية أو مراعاة للفوارق الحضارية والثقافية، وهؤلاء هم الحداثيون، ومنهم من أمسك العصا من وَسْطها وعدّ هذه المناهج شرّ وخير في آن واحد، وأخذ خيرها وترك شرها (همسى، 2011-2012).

والحقيقة التي لا مفرّ منها أنّ هذه المناهج لابدّ لقيامها من ترسانة مصطلحية توضح أهدافها ومعانيها، ولذلك انتقل المصطلح من المنهج وحدث الاضطراب، حيث اختلف النقاد في استعمال المصطلح وذلك لغموض مفهومه، كما اختلفوا في استعماله بعد تعريبه أو ترجمته كمصطلح (الشّعرية) (همسى،2011-2012)، التي يعرّفها (جاكبسون) على أنّها: «وظيفة لغويّ بواسطتها يمكن أن تصبح الرّسالة نوعًا من الفن»، وتُعرف في النّقد العربي بمصطلح (الأدبية)، ويشير الغدامي إلى أن مصطلح (الأدبية) لا يتخذ شكلاً واحداً، بل استخدم تحته مصطلح (التعبيرية والأسلوبية)»(الغدامي،1998م، ص7).

والنّاظر للثّقافات أو الحضارات المعاصرة يجد أنَّ هناك بوتقة ومنفذ تطلّ من خلاله الثّقافات على بعضها البعض، فهي تثاقف وتتبادل بعض النتاجات، وتتلاقح وتتراسل فيما بينها ولا يضُرّ ذلك شيئا، فلا ضاعت هويّة هذه ولا انتحلت هويّة الأخرى (همسى،2011-2012). فمن الأسباب التي تُعزى لها ظاهرة التّعدد المصطلحي في النقد العربي

المعاصر هي عشق الآخر(عبادة البطل)، فينبغي أن ننوّه إلى أنّنا لا نضمر كراهية للآخر مادامت العلاقة بين الأنا والآخر لا تمسّ حرمة الأنا، كما ينبغي التّأكيد على أن النّظرة إلى الآخر تنبع من واقع الأنا. (الهمامي،2003)

والثّقافة الغربية حاليا هي ثقافة الغالب، وثقافة العرب هي ثقافة المغلوب بل المنبهر بكل وافد من الآخر (الغرب) والمغلوب مولع بتقليد الغالب دائما، فأخذ الثقافة العربية من الثقافة الغربية –الآن– دون إعطاء وتصدير (الاستلاب الثقافي الأحادي التوجه) يُعدُّ وجها من أوجه التّبعية الفكرية، وطمسا وتغييرا للثّقافة العربية لا مثاقفة وتلاقحا، وهو الأمر الذي نادى به أصحاب النقد المأثور، فهم فهموا أنّه يصعب عزل الظّاهرة الأدبية عن وعائها التّاريخي، فلكل مصطلح نقدي تراث أدبي فلسفي خاص يعطيه معناه ويحدده، وعدم الإلمام بثقافة المصطلح أو بمراحل تطوّره في ثقافته الأصلية يُسبب إشكالات كثيرة في مجال المقابلات الصحيحة لهذا المصطلح في النقد الغربي (العياط،2005)

وكما أشرنا سابقًا إلى أنّ هذا الاضطراب كان حاصلًا حتى في بلاد الغرب التي أنتجت المصطلح النقدي (سيميولوجيا-سيميوطيقا)، لكنّ الاختلاف الحاصل فيها اختلاف شرعي له ما يبرره كونه يستند إلى إنشاء المصطلح على وسائل شرعية لا على الاعتباطية والذاتية والقياس على القوالب اللّغوية المستهلكة، أي هو اختلاف ثراء لا اختلاف تضارب واضطراب. إلا أنّ (حسن حنفي) يرى أنّ الانفتاح على الغرب كان مبررا نتيجة الصِّدام الحضاري القائم، وتحدي المدنية الغربية، إلاّ أنّ هذه الظّاهرة تحوّلت إلى استلاب وتقليد أعمى، يلخّصه في اعتبار الغرب النّمط الأوحد لكل تقدّم حضاري أو هو المَعلم الأبدي، وباقي أطراف العالَم في موقع الهامش إزاءه (عطية،2012).

وإذا رمنا رد هاته الإشكالية إلى أمر معين، فإنّها ترجع في أساسها إلى إشكالية المنهج النّقدي العربي المعاصر، هذا الأخير الذي ما يزال يتخبّط في وعثاء التّبعية وعدم وضوح الطريق، بل إنّ الأسّباب وراء هاته الحالة من التشرذم تعود في مجملها إلى حالة الاستلاب الثقافي العام الذي تحياه الثّقافة العربية المعاصرة، لأجل هذا كلِّه، كان لابدَّ من إسهام أهل الاختصاص وغيرهم في مناقشة وتحليل هاته الإشكالية، لتجنب مخاطر الميوعة المصطلحية في السّاحة النّقدية بل في السّاحة الثقافية العربية عموما.

إنّ المخاطر التي يمكن للتّبعية المصطلحية أن تؤسس لها هي في تهيئتها لظروف تبعية شاملة لذلك الآخر الغربي، لأن المصطلح - كما هو معلوم- قوام العملية المعرفية والثقافية لأي حضارة من الحضارات، ولمَّا كانت المصطلحات ذات حوامل ومحمولات ازدادت مخاطرها، لأنّ الشّكل الظاهر للمصطلح الحامل يمكن الانتباه إليه ومراجعته حتّى يناسب اللّفظ والفهم العربيين، ولكن الخطر الحقيقي هو فيما تحمله تلك المصطلحات من محمولات عقدية وإيديولوجية وسياسية وفكرية خاصّة بالبلد الذي أنشأها وتربت في أحضانه حتى اكتملت صورها، وهي بالطّبع مضامين مستورة من الّصعب جدا اكتشافها (مهادي،2011).

«إنّ كل مصطلح في النقد الأدبي المعاصر أو في غيره من الحقول المعرفية الأخرى، لا يُدرك إلّا من خلال موقعه داخل تصور نظري يمنحه مشروعية الوجود، فنقل المصطلح هو نقل للتصور وليس مجرد إعطاء مقابل عربي لمفردة أجنبية.... فأي خطأ في ترجمة مصطلح معيَّن قد يؤدي إلى تقويض النّظرية النّقدية أو تشويهها» (العرفي،2016، ص201).

يبدو أن الأزمة تطرح نفسها بعمق لاسيما في ارتباط صورة المصطلح المأزومة بصورة الواضع، أي الدارس العربي المأزومة حضاريا وثقافيا إزاء الحضارة الغربية المنقول عنها والتي تعد المصدر الأساس في استجلاب المصطلحات بشتى فروعها وأنواعها، مع ما تحمله هذه المصطلحات الوافدة من قيم معرفية وثقافية وحضارية مختلفة في أصولها ومرجعياتها عن الثقافة العربية، وباعتبار أن القيم المعرفية القادمة مع المصطلح من لدن الآخر (حمودة، 1998).

وتأسيسا على ما سبق، يحسن بنا أن ننظر إلى هذه الإشكالية القائمة والتي قد تعصف بجهود المشتغلين على المصطلح، نظرة واقعية واستشرافية كذلك، لمآلات الأزمة المصطلحية، فالحاجة مسيسة إلى تعطيل تمدد الظاهرة واستفحالها من خلال فعل التنسيق بين جهود كافة الباحثين من أجل توحيد المصطلح بعيد عن نزعة الفردية ونعرة القطرية، فالتنسيق هو السبيل الوحيد إلى توحيد المصطلحات (العيس،1999). ولهذا ينبغي في سياق هذه الضرورات أن يتكفل بصياغة المصطلح ومواضعته وإدراجه في معاجم متخصصة إن لم نقل في معجم واحد مشترك يؤوب إليه جميع الباحثين في

تخصص معين حتى لا تتشتت الجهود، مع وجوب الإقرار بداهة بأن توحيد المصطلح في كل المعارف والحقول لاسيما النقد واللسانيات رهن باستعماله وتداوله، فالاستعمال وحده هو الذي يدخل ويغربل المصطلح الموحد بقانون البقاء للأقوى والأنسب في إطار الحداثة والتجديد (الملائكة، 1983).

ومن جهة أخرى فإنّ الحداثة لا تعني قطعا، القطيعة مع الماضي، أو الإقامة في منجزاته كما لا تعني بناء أفق حضاري مشروط يمحو ماله صلة بماضي وحاضر رهاناتنا والتفكير في مجهولات نداءات تستقدم بعض رواسبها من المستقبل، فالحداثة ليست شكلا أو إطارا جاهزا بل هي سيرورة وتجدد دائمين. (بوسريف، ص07).

خاتمة

ويبدو أنَّ المصطلح يأبى أن يبوح بكل ما لديه حتى يتجذّر وجوده داخل الثّقافة التي هاجر إليها، فتعمل تلك الثقافة الحاضنة له على توطينه في محاولة - قد تكون فاشلة- لتعرية تلك المحمولات وأقلمتها في تربتها، خاصة وأن تلك المحمولات متعددة ويصعب جدا الإحاطة بها، أو على الأقل الكشف عنها، ولمّا كان الأمر كذلك وجب على المثقفين والنّقاد العرب أن يعملوا على إيجاد منظومة مصطلحية عربية الظاهر والباطن، أو على الأقل يعملوا على تكوين مصطلحِيين عرب يكون همُّهم غربلة المصطلحات والمفاهيم الغربية، والعمل على تشكيل مصطلح عربي موحد، مع مراعاة خصائص اللّغة العربية واللّغة الأجنبية المترجم عنها، على ألاّ يُفهم هذا الكلام بأنه دعوة لصد كل ما هو غربي، سواء كان مصطلحا أو منهجا أو أي شيء آخر، إنَّ ما نحتاجه حقًّا هو أن نعيَ جيدًا ضرورة وأهمية تحقيق استقلالية مصطلحية كشرط أوَّلي لتحقيق استقلالية ثقافية شاملة، وإننا نرى بأن هذا لن يؤتي ثماره إلا بالعودة الى كنوز التراث اللغوي العربي ففيه ما يغني وما يحفظ الهوية اللغوية من شعث الضياع، قال أبو الطيب المتنبي:

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به *** في طلة البدر ما يغنيك عن زحل

المراجع

1. إبراهيم محمد سلمان، 2014. مدخل إلى مفهوم سيميائية الصورة، المجلة الجامعة، كلية الآداب، جامعة الزاوية، ع16، مج 2 أفريل2014.

2.أحمد عبد الحميد عطيّة، 1997. جدل الأنا والآخر، قراءة نقديّة في فكر حسن حنفي، سلسلة روافد الفكر العربي المعاصر،ط1، 1997.

3.أحمد مطلوب، 2002. في المصطلح النقدي، منشورات المجمع العلمي، بغداد.

4.أنطوني جيدنز، 2003. عالم جامع: كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا؟، ترجمة: عباس كاظم وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط1.

5.بوخاتم مولاي على. مصطلحات النقد العربي السيميائي الإشكالية والحلول.

6.جميل الملائكة، 1983. المصطلح العلمي ووحدة الفكر، مجلة المجمع العلمي العراقي ع03.

7.الزواوي بغورة، 2000. مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة.

8.زياد الزعبي، 2013. مصطلح الخطاب وتجلياته في الدراسات الحديثة، منشورات جامعة اليرموك.

9.حامد كسّاب عيّاط، 2005. المصطلح النقدي العربي الحديث، المشكلات والحلول، مجلة النص والناص، منشورات جامعة جيجل، العدد 4، جويلية 2005.

10. يوسف وغليسي، 2007. مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر،ط1.

11. يوسف وغليسي، 2000. النقد الجزائري المعاصر من الانسونية إلى الألسنية، دار البشائر.

12. مارتن هيدجر، 2012. الوجود والزمان، ترجمة فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1.

13. ابن منظور. لسان العرب المحيط: معجم لغوي علمي، مج2، قدم له عبد الله العليلي إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت- لبنان، مادة (س.و.م).

14. منير مهادي، 2011. إشكالية المصطلح النقدي، دار الفارابي، لبنان، ط1.

15. نسيبة العرفي، 2016. المصطلح النقدي وإشكالية التفاعل مع النظرية الوافدة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر2، العدد 29، ديسمبر 2016.

16. عبد الله محمد الغدامي، 1998. الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية للنموذج المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط4.

17. عبد الملك مرتاض، 1983. النّص الأدبي من أين والى أين؟ ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

18. عبد السلام المسدي، 2004. الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط1.

19. عبد العزيز حمودة،1998. المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيكية، عالم المعرفة، ع232، الكويت.

20. عبد الرشيد همسي، 2012. إشكالية توظيف المصطلح النقدي السيميائي في الخطاب النقدي العربي المعاصر:عبد الملك مرتاض أنموذجا، جامعة فرحات عباس، سطيف، 2011-2012.

21. علي بن إبراهيم النملة، 2010. إشكالية المصطلح في الفكر العربي، الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات، مكتبة الملك فهد الوطنية –الرياض ط1.

22. علي الجرجاني، 1995. معجم التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان (د. ط).

23. فيصل الأحمر، 2010. معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1.

24. صلاح بوسريف. رهانات الحداثة: أفق لأشكال محتملة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1.

25. قدور عبد الله ثاني. سيميائية الصورة، تقديم طاهر عبد المسلم، وتيري لونسيان، دار الغرب للنّشر والتّوزيع.

26. خولة طالب الإبراهيمي، 2000. مبادئ في اللسانيات العامة، دار هومة، الجزائر.